

## السجال الخافت للتطبيع في مصر

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري



القضية، والتي تكاد تكون المطالبات فيها منحصرة في الطرف العربي فقط. كشفت الأسئلة التي طرحت

والإجابات التي قدمت من كل جانب عن فجوة كبيرة يعتمل جزء منها في الخفاء، وأن الصمت لا يعني فتورا في المهمة أو قبولاً بالفكرة، وما ظهر على السطح في نقاش الجمال وسعيد قد يكون جبل الجليد، إذا سححت الأجواء السياسية بمزيد من الغوص فيه بين مفارقات لا تختلف عما حدث في أزمنة سابقة. حُرمت الحكومة المصرية من ورقة تأييد ورفض التطبيع، والتي ساعدتها في التنصل من المضي قدما في قطاره حتى محطاته النهائية، وجعلتها تضع قدمها على الفرامل، حيث أرادت إسرائيل تسريع وتيرة الحركة بتشجيع من الولايات المتحدة، فالدور الذي لعبته النقابات المهنية والزخم الذي أضفته القوى السياسية كان مهما لتبرير عدم التماهي في مظاهر التطبيع بحجة أن هناك رأيا عاما جارفا يرفضه. تفتقد القاهرة لهذه الآلية الآن، في ظل الفراغ السياسي الحاصل، وعدم وجود قوى وأحزاب تستطيع المجاهرة بالتأييد أو الممانعة، فإذا كان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي تُمنّ توجه بعض الدول العربية نحو عقد اتفاقيات سلام مع إسرائيل، فإن تصرفات المسؤولين لم تعكس الموافقة على التطبيع، وادى التلكؤ إلى ما يشبه العزوف في إبداء الموقف، وهو ما ينسحب على النخب التي لجأ معظمها للصمت إلا قليلا.

عكس سجال عابر بين الكاتبين عبدالمنعم سعيد وأحمد الجمال رؤية تبارين في مصر، أحدهما ليبرالي، يمثله الأول، لا يرى غضاظة في الموجة الجديدة من التطبيع، والآخر يساري، يمثله الثاني، ويرى أن شروطه لم تنضج بعد، وأعاد الحوار غير المباشر بينهما قبل أيام قليلة الجدل حول ملف ظل شاكلا فترة طويلة في مصر. احتل هذا الملف مساحة من مناقشات المثقفين خلال عقود ماضية، وصل حد تشبث كل طرف بموقفه، وكان تيار الرفض واسعا وأعلى صوتا كلما أثرت قضية التطبيع، منذ توقيع مصر على اتفاقية السلام مع إسرائيل، واليوم تراجع الحديث وتراجع الرفض، إذا اعتبرنا الصمت من علامات عدم الممانعة، أو على الأقل عدم الإكتراث، وهي أيضا من علامات القبول الضمني. تجاهل عدد كبير من أنصار سعيد والجمال التفاعل مع السجال، وبدأ الحوار الساخن في الماضي باردا في الحاضر، ولا يحظى بمتابعة كبيرة، ومن عاشقوه في طبيعته الأولى يعرفون أن الكاتبين الكبيرين دخلا معا في حوارات مضنية، تترى النقاش حول قضية ملتبسة على البعض، ويظهر الإشتباك على السطح عندما يمسك أحدهما بطرف الخيط ويبدأ في الدفاع عن معسكره السياسي.

تلخص المباراة الهادئة بين الكاتبين، والتي خلت من الجمهور الغفير، الحالة الفكرية والسياسية التي تعيشها مصر، والتي كانت في أوقات سابقة أكثر حيوية، ويكفي فتح ملف التطبيع حتى يتبارى التياران، الليبرالي بمشاركته المختلفة، واليساري بأطرافه المتجانبية، ويعرض كل طرف حججه وبراهينه في الدفاع عن موقفه.

على المستوى الفكري، هناك عزوف من قبل فئة كبيرة من المثقفين ومحدودية انشغال بالقضايا العامة، ولا بمبالاة تكشف عن خمول أو لا جدوى من نتائج الحوار في أمور كان يكفي نكاشا لشحن كل فريق هممه وحشده أنصاره، ويتحصر فيها غالبا اليسار العاطفي دون أن يستفيد اليمين المدني من طرحه العقلاني.

خرجت كثيرا القضية عن مسارها العاطفي أو العقلاني، بعد أن أخذت طابعا مختلفا في الوقت الراهن، حيث تتجاوز النقاش جغرافية مصر، ويات قريبا من عدد كبير من الدول العربية، وابتعد ربط التطبيع بمفردتي الحرب والسلام، وصار على صلة وثيقة بحسابات كل دولة، ولم يعد شرطا وجود حدود مشتركة مع إسرائيل للحديث عنه، فالمسألة تخطت ذلك ودخلت نقفا يمس مصالح كل دولة على حدة.

على المستوى السياسي المصري، توارى الاهتمام الرسمي بالتطبيع، وتعيد الأصوات التي توقفت عند تطورات الجديدة تكرر الثوابت المتعلقة بالتمسك بالتأييد أو الرفض، ولم تصل لدرجة توسيع نطاق تحويل الملف إلى أولوية في النقاش العام لأن الحكومة قوضت أركانها، والنقابات التي كانت مصدر إلهام تاكل دورها، وتمكن الفقور من النخبة حتى أضحت اللامبالاة

تعبر عن موقف سياسي ضد الفضاء العام. تصلح كل هذه العوامل لتفسير محدودية التفاعل مع طروحات سعيد والجمال، حيث رأى الأول أن التحولات الإقليمية تفرض طقوسها بقوة، ويجب عدم التغافل عنها، ويمكن تطويعها لخدمة القضية الفلسطينية بشكل صحيح، وأخذ الثاني منحى آخر في تأكيد نوابت رؤيته في رفض التطبيع، وطرح أسئلة محرجة عن موقف إسرائيل من هذه



## الفرغ بعد الانهيار في لبنان

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني



الطبيعي تشكيل حكومة. أما الاستغناء، فهو في الإصرار على رفض تشكيل حكومة لا تضم سوى اخصاصيين في ظل عهد يبحث عن الفراغ بعدما ضمن حصول الانهيار الكامل لكل المقومات التي قام عليها البلد.

كان تقادي الفراغ، على رأس الدولة، وراء انتخاب عون رئيسا للجمهورية. ما تحقق إلى الآن هو تكريس الفراغ من رأس الدولة إلى اخصاص قديمها. صار لبنان في حاجة إلى أكثر من حكومة. صار في حاجة إلى صيغة جديدة، أي إلى إعادة تأسيس. حقق "حزب الله" ما كان يصبو إليه عبر إصراره على أن يكون ميشال عون رئيسا للجمهورية. ليس معروفا هل يستسمح له الظروف بطرح المؤتمر التأسيسي في ظل معادلة إقليمية مواتية له في المدى القريب... ثمة محطيات كثيرة تعمل في غير مصلحة لبنان. من بين هذه المعطيات ما سبق ونكره عن غياب الاهتمام الدولي والعربي بمصير الوطن الصغير. يحصل ذلك في ظل استمرار هجرة الشباب اللبناني، خصوصا الشباب المسيحي، في غياب ما يشير إلى أي استيعاب لمعنى لعب رئيس الجمهورية والحزب التابع له دور الغطاء لـ "حزب الله" وسياسات إيران.

ما يحصل في لبنان مخيف، بل مخيف جدا. كان انتخاب عون رئيسا للجمهورية من أجل تقادي الفراغ. كان استمرار الفراغ أفضل في ظل حكومة برئاسة تمام سلام. ما حصل بعد وصول ميشال عون إلى قصر بعبدا أن الفراغ تكرس، خصوصا مع فقدان أي أمل في تشكيل حكومة برئاسة سعد الحريري لا حزابيين فيها ولا محاصصة، بل مجموعة اخصاصيين قادرة على التعاطي مع المؤسسات الدولية بطريقة علمية. على رأس هذه

المؤسسات صندوق النقد الدولي الذي لا توجد جهة أخرى غيره مستعدة للبحث في كيفية مساعدة لبنان... قبل 31 تشرين الأول - أكتوبر 2016، كان الخوف من الفراغ ومن بقاء لبنان من دون رئيس جمهورية. بعد ذلك التاريخ، تضاعف الخوف مرات عدة في ظل انهيار وفرغ في الوقت ذاته. حصل الانهيار على كل المستويات وفي كل القطاعات، في حين يبدو جليا أن الفراغ سيطول في انتظار صيغة جديدة لبلد فقد في السنوات القليلة الماضية كل مقومات وجوده بعد تحوله إلى مجرد ورقة إيرانية في لعبة كبيرة تدور في المنطقة كلها... لعبة لم يعد لبنان سوى تفصيل صغير فيها!

بالتفاوض في شأن ترسيم الحدود مع إسرائيل، ثم تغلق الملف وفق أجندة خاصة بها وحدها. انتقل لبنان من الانهيار إلى... الفراغ. مهمة إيقاظ جبران باسيل مهمة مستحيلة لا تستاهل العناد ولا يفيد فيها العناد. العناد لا يفيد لأن لا وجود لسياسة اسمها سياسة العناد في بلد مغلوب على أمره أوصل نفسه إلى المازق الذي يعاني منه.

الانهيار حصل على كل المستويات في حين يبدو جليا أن الفراغ سيطول في انتظار صيغة جديدة لبلد فقد في السنوات القليلة الماضية كل مقومات وجوده بعد تحوله إلى مجرد ورقة إيرانية في لعبة كبيرة

تفرج اللبنانيون على الانهيار. اكتشفوا أن ليس لديهم ما يفعلونه بعدما احتجزت المصارف أموالهم في ما يمكن اعتباره سرقة العصر. اكتشفوا أيضا عجز دولة، كانت قائمة بأجهزتها المختلفة، لم تستطع الإجابة عن سؤال في غاية البساطة: ما الأسباب الحقيقية لتفجير مرفأ بيروت ومن وراء تخزين مادة نترات الأمونيوم في أحد عتابر المرفأ طوال سنوات؟

لبنانيا، ستكون السنة 2021 أسوأ من السنة 2020، لا لشيء سوى لأن الدولة بشكلها الذي عرفناه منذ الاستقلال، لم تعد قائمة. ما كان طبيعيا صار استثناء.

الذي فرضت عليه عقوبات أميركية بموجب قانون ماغنسكي الذي يختص بالفساد. واهم من يعتقد أن في استطاعة حكومة لبنانية تكون لباسيل حصّة فيها إعادة تويع الرجل. واهم أكثر من يظن أن إيران ستنصّر في المنطقة وأنها ستتمكن من إيصال باسيل إلى موقع رئيس الجمهورية، على غرار ما حصل مع عون في العام 2016.

كان جديد السنة 2020 بالنسبة إلى لبنان أنه لم يعد يهّم العالم. حاولت فرنسا إيقاظ ما يمكن إيقاظه عبر زيارتين للرئيس إيمانويل ماكرون مباشرة بعد تفجير مرفأ بيروت، لكن فرنسا اكتشفت أن لبنان ليس هماً لبنانيا. سياسيو لبنان في عالم آخر لا علاقة له بلبنان وهم عاجزون عن استيعاب ما على المحك وماذا يعني حلول الفراغ بعد الانهيار. فوق ذلك كله، لم يعد لبنان هماً عربيا. وضع العرب، بما في ذلك أهل الخليج لبنان طي النسيان والتجاهل في أن. أخذوا علما بأن لبنان ساقط عسكريا وسياسيا وأن ليس ما يدعو إلى القيام بأي خطوة في اتجاهه. يتعاطون مع لبنان بصفة كونه مستعمرة إيرانية. لم يوجد سياسي لبناني يردّ على الأمين العام لـ "حزب الله" حسن نصر الله عندما شُنّ أخيرا حملة على المملكة العربية السعودية في اللقاء الأخير مع الصحافي غسان بن جدو عبر فضائية "المباين".

ما سرّ هذه الحملة في هذا التوقيت بالذات؟ ليس التوقيت مهما بمقدار ما أن المطلوب تكريس لبنان في نهاية السنة 2020 مجرد "ساحة" إيرانية لا أكثر تفعل فيها "الجمهورية الإسلامية" ما تشاء في ظل "العهد القوي" الذي ليس في واقع الحال سوى "عهد حزب الله". تسمح إيران للبنان

انتهت السنة 2020 بتخلي اللبنانيين عن فكرة وجود حكومة. بات عليهم العيش في بلد من دون حكومة لفترة طويلة يصعب التكهن بمدتها. الأخطر من ذلك كله، أن هذا الفراغ الحكومي سينسحب على البلد كله. أصبحنا نعيش في ما يمكن تسميته بالفراغ اللبناني.

ليس ما يضمن انتخاب رئيس جديد للجمهورية لدى انتهاء ولاية ميشال عون في السنة 2022 وليس ما يضمن إجراء انتخابات نيابية جديدة يوما. لنفترض أن في الإمكان إجراء مثل هذه الانتخابات، هناك سؤال سيطرح نفسه بحدة: بموجب أي قانون ستكون هناك انتخابات؟ هل بموجب القانون الذي فرضه "حزب الله" وأجريت على أساسه انتخابات أيار - مايو 2018، وهي انتخابات خرج بعدها قاسم سليماني، قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الذي اغتاله الأميركيون قبل سنة، ليقول إن إيران باتت تمتلك "الأكثرية" في مجلس النواب اللبناني.

يمثل الفراغ الأمر الواقع الذي فرضه رئيس الجمهورية ميشال عون الذي صار همة محصورا في إنقاذ المستقبل السياسي لا وجود له. الشخص هو صهره جبران باسيل

